خطب الجمعة من المسجد الأقصى المبارك

خطيب الجمعة محمد سليم محمد علي

2025/5/9م وفق 31 تشرين أول (10)1447 هجري

الإستخلاف في الأرض

الحمد لله، جعل محمدا صلى الله عليه وسلم، خاتم النبيّين، وجعل أُمّتهَ من بعده، خلفاءه في أرضه، يملكونها، ويتصرفون فيها، فقال سبحانه: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ).

وأشهد أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريك له، قال في كتابه: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ).

فهذا يا مسلمون، شرطٌ، شرطهُ الله على الحكام عامّة، وعلى جمهور المسلمين، أن يأمروا بالمعروف، وأن ينهوا عن المنكر، وأن يُعبّدوا الناس لربهم، وأن يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، تنقّل بين قبائل العرب قبيلة قبيلة، يقول لها: (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتَذلُّ لكم بها العجم، فإذا آمنتم، كنتم ملوكا في الجنة).

فلما آمنت العرب برسولها صلى الله عليه وسلم، مكنّ الله لهم في الأرض، وملكوا الدنيا، وسادوا الأمم، فبالإسلام وتحكيمه يا مؤمنون، تكونون ملوك الأرض في الدنيا، وتكونون ملوك الناس في الجنة.

فاللهم صلّ وسلّم وبارك، على النبي البشير النذير، حامل لواء الحمد يوم القيامة، وأول من يقرع باب الجنة، الذي بلّغ الرسالة تمام التبليغ، وحكم بالعدل، وبشّر باستخلاف أُمّتهِ في الأرض من بعده.

وصلّ اللهم على آله الطاهرين، وعلى أصحابه الذين نصروا الدين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة.

أما بعد، أيها المسلمون: كان الصحابة في المدينة المنورة، مشفقين من غزو المشركين لهم، وَمِنْ كَيْدِ الْمُنَافِقِينَ، وَدَلَالَتِهِمُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى عَوْرَاتِهِم، حتى شكا بعضُهم، إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْخَوْفِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَمَا يَأْتِي عَلَيْنَا يَوْمٌ نَأْمَنُ فِيهِ؟ فَقَالَ عليه السلام:(لَا تَلْبَثُونَ إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي الْمَلَأِ الْعَظِيمِ مُحْتَبِيًا، لَيْسَ عَلَيْهِ حَدِيدَةٌ..)، يعني أن المسلمين سيكونون في ظل دولة، يأمنون فيها على أنفسهم من الكفار وأعوانهم، فأنزل الله قوله: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ).

أيها المؤمنون: هذه الآية الكريمة، فيها ثلاثة وعود لكم، من الله، أصدقُ الواعدين، الوعد الأول: استخلافكم في الأرض، والوعد الثاني: التمكين لدينكم بين الناس، والوعد الثالث: أن تأمنوا بعد الخوف.

أيها المسلمون: وهَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى نُبُوَّةِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، لِأَنَّ الله عز وجل، أَنْجَزَ لكم وعوده الثلاثة، وسوف يتمّها عليكم فيما تبقى من الدنيا، فأبشروا، وأمّلوا، باستخلافكم في الأرض.

يا عباد الله، أَظْهَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فأمنوا، واستقروا فيها، يحكمون بشرع الله لا يخافون، وهَذَا وَعْدٌ لِجَمِيعِ الْأُمَّةِ، فِي مُلْكِ الْأَرْضِ كُلِّهَا، تَحْتَ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ .. كَمَا قَالَ عليه الصلاة والسلام: (زُوِيَتْ لِي الْأَرْضُ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا).

يا مؤمنون: وتاريخنا الإسلامي، يؤكد هذا الاستخلاف، لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقد اسْتِخْلف من سبقنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فمَلّكَهُمُ الْبِلَادَ، وَجْعَلَهُمْ أَهْلَهَا، وهذه الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَالْمَغْرِبِ وما يسمى اليوم بالشرق الأوسط، وغيرها، هي ثمرة الوعد الرباني لنا، نحن أمة النبي الأكرم، محمد صلى الله عليه وسلم.

يا مسلمون: والنبوة مع كونها نبوة، فقد تحقق فيها وعد الله بالاستخلاف، فكان صلى الله عليه وسلم، نبيا، ورسولا، وحاكما، وإماما.

يا عباد الله: ومن يحمل الدعوة منكم فيبلغها للناس، وعالم الشريعة، العالم الرباني الذي يعمل بها، والقاضي، والمفتي، والأئمة، كلهم مستخلفون، متحقق فيهم وعد الله بالاستخلاف في الأرض، كلٌ بقدْره وحاله، عليهم، أن يحسنوا هذا الاستخلاف، الذي وعدهم الله، والذي أورثهم إياه عمن حمله وأداه بحقه.

أيها المرابطون: لا تظنوا، أن استخلافكم في الأرض، يعني الأمن التام لكم، أو المنع من القتل، فالمسلمون، قبل أن يستخلفهم الله ويمكن لهم، وبعد أن يمكن لهم بالاستخلاف في الأرض، يظلون في حالة نزال مع الكفار ينصرون أحيانا، وأحيانا يبتلون بالقتل والأسر والجراح، انتصروا في بدر، وأصيبوا في أحد، وأصابهم القتل والجراح في عديد الغزوات، وكذلك في تاريخنا الإسلامي شهادات لما نقول، فيوم علينا، وأيام لنا، نكون مقهورين فنصير قاهرين، ونكون مطلوبين، فنصير طالبين.

يا مسلمون: ومن صور وعد الله، بتبديل الخوف بالأمن أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه:(وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ).

يا مؤمنون: وعد الله لكم بالاستخلاف، والتمكين، وتبديل الخوف أمنا، يستلزم أن تأخذوا، بأول أسبابه، وهو طَاعَةُ الله وَالرَّسُول صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى:(وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا)، فالهداية إلى هذه الوعود الثلاثة، لا تتحقق، إلا بطاعتكم لله عزّ وجلّ.

أيها المسلمون: استخلافكم في الأرض، يمتدُّ أحيانا، وينقبض أحايين أُخرى، وهذه سُنّة الله فيه، ولكنَّ حُرمة أمتنا، واتقاءَ بأسها .. سيظل منتشرا في الأمم، تخافكم، ويسعوْن في مرضاتكم، ومسالمتكم، ما دمتم متصفين بالصلاح والإصلاح، وهذا هو الاستخلاف الكامل لكم في الأرض، فقد كنتم في الأندلس، وامتدّ حكمكم بالإسلام فيها، ثم انقبض، ولكن هيبتكم عند أعدائكم، لا تزال، وسوف تبقى، إلى أن يأتيَ الله بأمره.

يا مؤمنون، والأندلس، مثل من أمثلة، استخلافكم في الأرض، تمددا حينا، وانقباضا حينا آخر، وشواهد التاريخ عديدة، وانقباض استخلافكم فيما مضى من العقود، مثلٌ تعيشونه، وسوف تعيشون امتداد الاستخلاف، فيما يأتي من الزمان، فكل ابتلاء لكم، يعقبهُ فرج، وكل خوف يصيبكم، يتبعه أمن وسلم، وكل حصار لدينكم، بكل الوسائل، ستكون عاقبته، انتشارا لهذا الدين، الذي يأبى الله، إلا أن يُتمّ نوره، ولو كره الكارهون، من الكفار، والمنافقين، والمرجفين.

أيها المسلمون: وعدكم الله، بتمكين دينكم في الناس، فالإسلام ينتشر في دول العالم، رغم محاربتها له، وأنا أقول لكم، وخذوا عني مقالتي، إن أوروبا حبلى بالإسلام، ومخاضها قريب، ففي كل يوم يزداد أتباع دينكم بين الناس فيهم، فديننا ثابت في الناس، وراسخ في الأمم، فلا خوف عليه، فهو سُنّة من سنن الله في الأرض، لا يزول، إلا بزوال الدنيا، حتى وإن قلّ المسلمون في زمن من الأزمان، لكن سرعان ما ينبتون، ويثمرون.

يا مسلمون: وعود الله لكم هي بشارات لكم، ومن هذه الوعود الثلاثة، أن الله يزيل الشرك والنفاق من الأمّة، وإن حدث خوف فيها، أو أطلّت رقاب منافقة بين جموعها، فهي عرَضٌ، لا يلبث إلا قليلا، ثم ينتهي، وقد مرّت أمتنا، بحالات خوف، وحالات أخرى من النفاق، ثم ذابت، كما يذوب الملح في الماء، وحكم الإسلام، وعزّ، وساد.

يا عباد الله: أحسنوا إيمانكم بالله، وترجموه إلى أعمال صالحة، فهذان شرطان، شرطهما الله، لكي يُتمّ لكم وعوده الثلاثة، فأتموا هاذين الشرطين، كي يُتمّ الله لكم وعوده، بالاستخلاف، والتمكين لدينكم، والأمن بعد الخوف الذي تحيونه، فلا تحبوا غير الله، ولا تراؤا في عبادته، ولا تخافوا غيره، ولا تنافقوا، ولا تخلطوا الصلاح بالفساد، واستقيموا، واستغرقوا حياتكم بالصالحات، حققوا كل ذلك في حياتكم، حتى تفوزوا بوعود الله لكم، فتسعدوا في الدنيا، وتهنأوا في الآخرة.

أيها المؤمنون، لقد بيّن الله للحكام، على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، تصرفاتهم في شؤون رعيتهم، ومع أعدائهم، فهل اهتمّ الحكام بهذه الشؤون؟وما هي مكانة رعيتهم منهم؟ وكيف هي تصرفاتهم مع أعدائهم؟ هل هي كما وضحها الرسول وبينها لهم؟ عن أبي زرعة أن الوليد بن عبد الملك قال له: أيحاسب الخليفة، فإنك قد قرأت القرآن وفقهت؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، أنت أكرم على الله أو داود؟ إن الله عز وجل جمع له النبوة، والخلافة، ثم توعده في كتابه فقال: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)، فإذا كان الخليفة، تحت توعد الله له، عن لم يحكم بما أنزل الله، فكيف بمن هو دونه من الولاة والأمراء؟؟؟

يا مسلمون، يا مؤمنون، اعلموا، أن الله لا يُعجّل لكم بالشرّ، وإنزال العقوبة، بل هو سبحانه لطيف بكم، قال الله سبحانه:(وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ)، فأنتم العباد الصالحون، وأنتم العابدون، الذين كتب الله لكم، وراثة الناس بالإسلام، لتكونوا من رحمة الله لهم وبهم، ذلك كله، مسطور في الزبور، وفي القرآن، فاللهم اجعلنا من عبادك الصالحين، اللهم اجعلنا من عبادك العابدين، اللهم اجعلنا من عبادك القابضين على الدين، اللهم وكن معنا في كل وقت وحين.

عباد الله: (إن الله لا يستجيب دعاء من قلبٍ غافلٍ ساهٍ لاهٍ، فادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة)

الخطبة الثانية

الحمد لله، أرسل رسوله بالهدى والدين الحق، ليظهره على الدين كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال وهو أصدق القائلين: (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاّ مَقْتاً وَلا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاّ خَساراً)، وأشهد أن سيدنا محمدا، عبد الله ورسوله، قال مبشرا لنا: (لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم بطاعته إلى يوم القيامة)، فإسلامنا خالد، وغراسه ثابتة، وثمارها ستؤتي أكلها ولو بعد حين، فاللهم صلّ وسلّم وبارك على الحبيب المفدى محمد، وعلى آله، وأصحابه، وعلى من تبعهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فأول الخلفاء الراشدين، أبو بكر رضي الله عنه، اتخذ الخلافة أمانة، ينصر فيها الضعفاء، ويأخذ على أيادي، من أراد العبث بالدين، وأما الفاروق عمر، رضي الله عنه، فلم يقبل، أن تتعثر بغلة، في بلاد المسلمين، وهو حيٌّ يرزق، حتى يُسوّي لها الطريق، وأما عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فلم يهدأ له بال، حتى نشر المصحف، وجمع المسلمين عليه، وأما عليٌّ رضي الله عنه، فكان فارسا للحق، ممتطيا صهوة العدل، ولا تسألوا عن الخلفية، عمر بن عبد العزيز، فقد أمر بجمع السنة، في ديوان واحد، ووعد كل فرد من أفراد المسلمين، بعمل يناسبه، وبيت يسكنه، وزوجة يأنس إليها، ودابة تحمله إلى حيث يشاء.

أيها المؤمنون، هذا هو الاستخلاف في الأرض، وهذه هي ثماره، قرآن وسنة نبوية، تحكم الناس، بالعدل، والأمن، والسلم، والخير، لا يظلم في ظلها، مسلم ولا كافر، ولا يظمأ فيها بشر ولا حيوان، ولا يُرفعُ فيها رأس نفاق، أو خذلان، أو ردة، ولا تستباح فيه إنسانية بشر، فلا نهب، ولا سلب، ولا اغتصاب، فالأعراض محفوظة، والدماء مصونة، والأموال محروزة، لأن استخلافكم في الأرض، يعني أنكم أمّةٌ واحدةٌ من دون الناس، همّكم واحد، وطموحكم واحد، لا يجرؤ على النيل منكم أحد.

فاللهم اجعل بلاد المسلمين آمنة بأمانك، عزيزة بعزّك، مصونة بشرعك ودينك، محكومة بكتابك وسنة رسولك، اللهم وحّد صفها، واجمع كلمتها، في ظل رجلٍ صالحٍ يأخذ بيدها إلى ما تحبه وترضاه.

أيها المسلمون، فأقبلوا على الكتاب والسنة النبوية، تمسكوا بهما، وحرروا أنفسكم، من عبادة الشيطان، والأهواء، والشبهات، فهذه كلها، لا تصلح أن تأخذوها معكم، وأنتم تسيرون، إلى منصّة الحكم بهذا الدين، تأمنون على أنفسكم، ولا تخافون، وتعبّدون الناس لربهم فلا يهلكون.

يا عباد الله، وإن كان حكم عيسى بن مريم لكم بالإسلام أربعين عاما، حق لا مرية فيه، وإن كان المهدي، بشارة رسولكم، ليحكم بالإسلام قبل عيسى سنوات معدودات، فإن ما ينزل بكم من فتن، ومحن، هو إرهاص بين يدي، فجر مشرق بهذا الدين، ليس لكم بل للناس جميعا، وما ينزل بكم، هو محبة من الله لكم، ليرفعكم الدرجات العليا عنده، وما ينزل بكم من الضرّ، ليس انتقاما من الله، أو تعذيبا لكم بذنوبكم، فهذا قول علماء السوء، والجهلة، والمنافقين، فرسولكم صلى الله عليه وسلم، وهو خير الخلق عند الله، وأصحابه، وهم خيرة الناس في زمانه وبعده، امتحنوا في مكة امتحانا شديدا، فعذبوا، واضطهدوا، فهل كان كل هذا، محبة من الله لهم، أم انتقاما منهم وتعذيبا؟ حاشاه سبحانه!

يا مسلمون، حين تريدون أن تأكلوا طعاما لذيذا، تضعونه على النار حتى ينضج، فإذا مسّته النار لفترة زمنية، نضج، وطاب أكله، وهذا مثل بسيط، لما يصيبكم، ولما ينزل بكم، من صنوف الأذى، فنار البلايا، والمحن، والفتن، لا تكون إلا لأهل الله وخاصّته، من المؤمنين، الصادقين، الصابرين، وقد اقترب نضوج فرجكم، لتعودوا خلفاء الله في الناس، حاكمين بدين العدل، بالإسلام، الذي تسعد البشرية كلها في ظلاله، فأصلحوا قلوبكم، وضعوها قريبة من أقصاكم، صلاة، وعبادة، وذكرا، وتسبيحا، عمّا قريبٍ، يصلي من كتب الله له الصلاة منكم، خلف من يرضى عنه ساكن السماء، وساكن الأرض، (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُون، وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).

اللهم نجّ المستضعفين في بلاد المسلمين، اللهم وفرّق جموع المنافقين، اللهم لا تسلط على المسلمين كافرا، ولا منافقا، ولا مخذلا.

اللهم وأتمم على أقصانا بركته، وسكنه، اللهم أتمم على قدسنا زينتها، وقدسيتها، اللهم أتمم علينا غدوانا ورواحنا إلى بيتك المقدس، اللهم أعزنا بطاعتك، وانصرنا بالحكم بشريعتك.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعل بفضلك كلمة الحق والدين، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، اللهم اربط على قلوبنا، واحفظنا بحفظك، وارفع عنا الفتن، والبلايا، والمحن.

اللهم أطلق سراح الأسرى، واقضِ الدين عن المدينين، وأنزل شفاءك بالمرضى والمبتلين، اللهم اغفر لنا، ولوالدينا، ولمن لهم حق علينا، واغفر اللهم للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، واختم أعمالنا بالصالحات.

عباد الله: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه يزدكم، واسألوه يعطكم. وأنت يا مقيم الصلاة، أقم الصلاة: (إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ).